



"اتعودت اشترى لشخصين... ولاحظ البياع ان قلو

بدو يسألني وما إلو عين.. حاسس كان في ناس كانوا فلو"*

الصباحات التالية للفراق هي الأصعب.

أفتح عيني بين الصحو والنوم، أتحمس احتمالات أن ما حدث أمس لم يحدث. في كل مرة يتكرر السيناريو نفسه. أمني نفسي أن ما حدث كان كابوس سأصحو منه الآن لأكتشف أنه لم يحدث. تتكشف الحقيقة/الصدمة على مهل، وأنا أفتح عيني ثم ستارة شباك غرفة النوم فستارة شباك المطبخ. تتسلل الحقيقة ببطيء مؤلم: أنا الآن وهنا وحدي.

في الحمام أحاول أن أنفض عن روحي ثقل الحقيقة تحت انهمار الماء الساخن. رائحة الفانيليا تربت على جسدي المنهك بعد نوم متقطع: سكنته الأحلام والكوابيس، ثم أيقظته الحقيقة. أنظر إلى فرشاة أسنانك الزرقاء التي تبدو لي كأنها تعانق فرشاة أسناني الوردية. كم أحتاج في هذه اللحظة إلى أن أدس رأسي المتعب في عنقك، كما تدس فرشاة أسناني رأسها في عنق فرشاةك أمامي. ثم لماذا تركت فرشاة أسنانك هنا أصلاً؟

ولماذا في كل مرة يرحل الراحلون تبقى تركة من تلك الأشياء الصغيرة المؤلمة التي لا نعرف ماذا نفعل بها؟ أتذكر أن فرشاة أسنان أمي تركت في مكانها قرب العام دون أن أجرؤ على التخلص منها عقب رحيلها. أتذكر أنني لازلت غير قادرة على الاقتراب من دولا ب ملابسها، من نظاراتها الكثيرة، من العصا التي تعكزت عليها في أواخر شهور حياتها.

أتذكر شجارات قديمة مع أمي في محاولاتها التخلص من مقتنيات أبي التي توالى عليها الأعوام بعد رحيله دون أن تتزحج عن أماكنها التي اختارها هو... كنت أتشبه برائحته في بقاء تلك الأشياء على وضعها. ثم أتذكر أن لا شيء يبقى على وضعه، وأن رأسي يؤلمني جداً، وأن الاشتياق يمكن أن يقتل كل مرة، المرة تلو المرة، ألف مرة.



"ذكرني ذلك ما كنا مناخ... مش هني رشحونا للنجاح

يا ريتنا مثل ما كنا من قبل... من قبل ما الوقت قطعنا وراح"

في فراق سابق قلت لحبيب سابق "لو أن على هذه الأرض عدل لتحددت لكل شخص حصة معروفة له سلفاً لجرعته المقسومة من وجع الانفصال، وسقف لا يتم تجاوزه لمرات الفراق التي عليه أن يتعرض لها، بصرف النظر عن أنواع الفراق." كان حزني يختبئ كالمتعاد خلف ستار من السخرية اللاهية، بينما أحاول لجم دموعي قبل أن تنهمر على كتفه. قلت له -كاذبة- أني دربت نفسي على اعتياد القسوة على هذه الأرض، وأن قلبي بمرور العمر قد تحصن... قد زادت مناعته في مواجهة مرارات الفراق.

ها أنا أتجرع من جديد مرارة كوب القهوة الوحيد وخيبات القلب، وأنا استرجع حديث آخر صباح بينما. كان حديث راقص بين كوبين من القهوة الدافئة، ينتقل بخطوات واثقة بين الجد والهزل في سلاسة دون أن يتعثر. يعجبني حديثك الذي يكون دائماً ذكي ولا يكون أبداً جافاً. يعجبني أنك مثلي تأخذ شئونك في الحياة بجدية، دون أن تأخذ الحياة في مجملها بأية جدية. يعجبني حين تفاجئني بملحوظة عابرة توحى بأنك تفهمني تماماً، حتى إن كنت بالطبع -في ضوء عمر علاقتنا القصير- لا تفهمني حقاً. يعجبني أنك حين ترتبت بكفك على ظهري تخف فجأة وطأة ثقل الحياة على كتفي. يعجبني أن وجودك يطمئن نوبات الهلع التي لازمتني في الأعوام الأخيرة.

في غيابك تعود نوبات الهلع، ثم تبدأ جلسة استجواب الذات المألوفة في الصباح التالي للفراق.

هل أحببتك أنت أم أحببت حبك الجارف لي؟ هل الآن أفتقدك أنت أم أفتقد حنانك الغامر على كل ما حولك؟ هل أشتاق إلى حضنك أنت أم إلى حقيقة أنك تحتضني تماماً كما أود، وطويلاً كيفما أحتاج دون أن تكل؟ وهل تركت فرشاة أسنانك هنا لأنك فعلاً تنوي أن تعود؟ لا أعتقد. الأرجح أنك نسيتها فحسب. أعرف أنك قلت إن تلك لن تكون النهاية. لكنني قلت إنني أفضل أن أضع كلمة النهاية بنفسني الآن، قبل أن تأتي بها الأيام مغلقة بالصمت والنسيان، مبعثرة بين حقائق الجغرافيا والمسافات والظروف التي ستمضي بكل منا في طريق.



يعجبني أنك تعرف تلك القصيدة لروبرت فروست عن افتراق الطريق. أحب تلك القصيدة وأخافها. وأعرف أنك أيضاً تشاركني نفس الحب للقصيدة وللطريق، ونفس الخوف من افتراق الطريق.

"معقول يظل قلبي معلق بالمناطق

والايام تمر وشارع منو آمن

موضوعي باقي عالق... عالق"

في فراق سابق، قال حبيب سابق: "الحياة تعوضنا بشكل ما... هناك دائماً فرصة أخرى تطرق الباب"، وقلتُ "لكن الخسارات تبقى خسارات، تترك ندوبها في الروح وتضعف هشاشة القلب، تكسر توقعاتنا إزاء الحياة وتسحب من رصيد الثقة المطلقة بشكل عام."

أحصي خساراتي وأعد على أصابعي مرات الفراق، محاولة قياس تدهور حالة القلب الهش. ولا أعرف هل التوقعات المكسورة إزاء الحياة هي التي تؤدي حتما لكسر القلب، أم أن بعض البشر قُسمت لهم حصتهم من الحب مغموسة دوماً في الألم. حصتهم شظايا كثيفة لقصص جميلة جدا لكنها مبتورة حتما... قصص تُحي القلب لتدميه، ثم تتركه يحتسي كوب وحيد من القهوة، ويفكر في مصير فرشاة أسنان واحدة.

* الاقتباسات هي من أغاني ألبوم "معلومات أكيدة"، لزياد الرحباني.

الكاتب: [حنان البدوي](#)